﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩﴾ [المؤمنون: 57 - 59]

❁ مُناسَبَةُ الآيَاتِ لِما قَبْلَها:

بعد أن ذمّ الحقّ ﷻ من تقدّم ذِكْرَهم من الذين فرّقوا دينهم، ومن الظّانّين بأنّ إمدادهم بالأموال والبنين، والمسارعة لهم بالخيرات إنّما هو من صفات إيمانهم، وهو ظنٌّ جانَبَ الصّوابَ، بَيَّنَ هنا صفات المسارع في الخيرات على وجه الحقيقة لا الظّنّ، وهي الخشية من الله، والإيمان بآياته، ونفي الشّريك عنه، وأداء حقوقه، وحقوق عباده[1].

بعد أن ذمّ الله من فرّق دينه أردفه بصفات من يسارع حقيقةً في الخيرات

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خَشۡيَةِ﴾: (خشي)، ومعنى الخشية هو الخوف عامّةً، أمّا الأصل في معناه فهو قريب؛ لأنّه يدلّ على خوف وذُعْر، ثمَّ يُحملُ عليه المجاز، فالخشية الخوف، وفيه بعض الاختلاف عند الرّاغب؛ لأنّ الخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه؛ ولذلك خصّ العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: 28]، والخشية من الله تكون بمعنى الكراهة، والخشية خوف مع استشعار شيءٍ في النّفس[2]، ومعنى الخشية هنا انزعاج نفس المرء توقُّعًا لحصول المساءة والمضرّة[3].

2) ﴿مُّشۡفِقُونَ﴾: (شفق) من (أشفقَ يشفقُ)، ومعنى الشّفق الخوف؛ فهو مُشفق، أي: خائف، ويأتي أيضًا بمعنى الحذر، والشّفق يكون بمعنى النّصح المشفوع بخوف على المنصوح من أن

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 282 - 283.
(2) الراغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، ومحمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيُّ المؤصَّل: (خشي).
(3) السمعاني، تفسير القرآن: 3/ 479.

يناله مكروه، والأصل في الشّين والفاء والقاف دلالتها على رقّةٍ في الشّيء، ثمّ يشتقّ فيُقالُ: أشفقتُ إذا رقَّقْتَ وحاذَرْتَ، وإذا كانت العناية مختلطة بالخوف سمّي إشفاقًا، فالمشفق يحبّ من يشفق عليه، ويخاف عليه، وقولهم: "وأنا مشفق من هذا الأمر خائف منه خوفًا يرقّ القلب، ويبلغ منه" وأكثر ما يرد في القرآن الكريم من هذا الجذر، وما اشتقّ منه هو بمعنى الخوف[1]، وقوله: ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ في الآية دالٌّ على خوفهم وخشيتهم من عذابه سبحانه؛ فكانوا دائبين في طاعته، جادّين في طلب مرضاته[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

مدح لمن خشي الرّحمن وآمن بآيات القرآن وأخلص للواحد المنّان

يصف الحقّ ﷻ صنفًا من عباده، وهو في معرض المدح، وهم الذين على جانب كبير من الوَجَل؛ لخشيتهم من ربّهم، وسوء ظنّهم بأنفسهم وبتقصيرهم، والذين يؤمنون بآياته إذا تليت عليهم ويتدبّرونها، ويتفكّرون في الآيات الكونيّة؛ فيحصل لهم الإيمان ما لا يعبّر عنه اللّسان، والذين من صفتهم الإخلاص، وعدم الإشراك بالله شركًا جليًّا، ولا شركًا خفيًّا كالرّياء؛ فهم مخلصون في الأقوال والأفعال وسائر الأحوال[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الاستئناف في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم﴾:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ استئنافٌ بيانيٌّ ناشئٌ عن سؤالٍ يجيش في صدر السّائل، فكأنّه قيل بعد الآيات التي سبقت: فمنِ المستحِقّ للمسارعة في الخيرات بعد إقناط الكفّار لها، وأنّ حسبانهم الكاذب باطلٌ؟ فكان الجواب بأنّه الخائفُ الحَذِرُ

(1) الزمخشري، أساس البلاغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ، ومحمّد جبل، المعجم الاشتِقاقيّ المؤصّل: (شفق).

(2) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 44.

(3) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 554.

من ربّ العزّة[1]، وغرضه التّفصيل له، فإنّ ما قبله كان إعراضًا عن عبادة الله، وتكذيبًا بآياته، وإشراكًا به، وإنفاق مالهم في الملّذات، وتكذيبهم بالبعث، فكلّ ذلك تشمله الغمرة؛ فجيء بهذه الجملة التي تذكر أحوال المؤمنين والثّناء عليهم[2].

دلالة التّوكيد بـ﴿إِنَّ﴾:

صدّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ بـ﴿إِنَّ﴾ الدّالّة على التّوكيد اهتمامًا بالخبر[3]، وهو إشفاقهم من خشيته تعالى، وفي هذا الاهتمام مدحٌ وثناءٌ عليهم.

الغرض من التّعبير بالاسم الموصول:

آثر النظم الكريم التّعبير بالاسم الموصول على الاسم الظاهر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾؛ للإيماء إلى العلّة التي بُني من أجلها الخبرُ، وهو مسارعتُهم في الخيرات، ومسابقتهم إليها[4].

الإيماء إلى وجه بناء الخبر في المسارعة والمسابقة إلى الخيرات

دلالة التّعبير بضمير الغائبين في الآيات ﴿هُم﴾:

جاء بضمير الغائبين ﴿هُم﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾؛ لأنّ المؤمن قد يَعْرِضُ له ما تقدّم من أنواع الشّرك الجليّ، أو الشّرك الخفيّ؛ فأراد الإشارة الى الخشية بربّهم الذي أحسن إليهم على وجه التوكيد[5].

تخصيص الخشية بالرّبّ الذي أحسن إليهم تخصيصًا مؤكّدًا

معنى ﴿مِّنْ﴾ ودلالتها:

﴿مِّنْ﴾ في قوله تعالى: ﴿مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ إمّا أن تكون لبيان جنس الإشفاق، والإشفاق إنما هو توقّعٌ وخوفٌ من عذابه ﷻ[6].

(1) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 139.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 76.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 76، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5085.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 76.
(5) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 159، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5085.
(6) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 147.

وإمّا أن تكون ابتدائية والتّقدير: (مشفقون من خشية ربّهم)، وجاء بحرف الابتداء ﴿مِّنْ﴾؛ لأنّه أراد إظهار الخوف، ولو عُدّيَ بـ(في) لكان معنى العناية هنا أظهر[1]؛ فإنّ المشفق قد يكون خائفًا محضًا، وقد يكون خائفًا مع العناية، وقد كان حال الموصوفين هنا الخوف المحض ظنًّا بأنفسهم السّوء، والتّقصير في حقّ ربّهم.

وإمّا أن تكون دالّة على التّعليل[2]؛ فإنّ إشفاقهم من ربّهم سببه خشيتهم لله تعالى، وهذا مَحْضُ إيمانهم بالحقّ ﷻ.

سرّ إضافة الخشية إلى ﴿رَبِّهِم﴾ خاصّة:

الخوف العظيم من المحسِن إليهم المنعِم عليهم

أضاف الخشية إلى لفظ الربّ في قوله تعالى: ﴿مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ اعترافًا وإقرارًا بأنّهم يخافون خوفًا عظيمًا من الذي أحسن إليهم، وأنعم عليهم[3]؛ فهو خوف الجلالة والعظمة، والحقّ سبحانه حريّ به.

إيثار لفظ ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

توقُّعُ المكروه يُديم الحذر

آثَرَ استعمالَ لفظ ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ للدلالة على توقّع المكروه والخوف من العذاب، مع ما كان منهم من الإيمان، فإنّ المؤمن الحقّ ما كان أمره بين الخوف والرّجاء والحذر، فلا يأمن مكر الله، ولا يفتر عن طاعته وعبادته، ثمّ أورد الشّفقة بالاسمية لإيذانها بمعنى الحذر الدّائم[4] وإذا أراد المؤمن أن يبلغ كمال الخشية أصبح مشفقًا؛ فهو إذ ذاك في نهاية الخوف من سخط الله في عاجل أمره، ومن عقابه في آجله؛ ليكون في مأمن من عقابه، وفي نهاية الاحتراز عن معاصيه[5].

(1) الراغب، المفردات في غريب القرآن، ص: 459.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 77، وابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 3/ 209.
(3) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 159.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 159.
(5) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 283.

الغرض من حذف متعلّق الإشفاق:

بسبب خشيته يتوقّعون غضبه ويخافون عقابه

في قوله تعالى: ﴿مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ مجازٌ بالحذف في صفة الإشفاق، فإنّ الإشفاق توقّع المكروه، وقد حذف هذا المتوقّع لدلالة السّياق عليه، فإنّه بسبب خشيته يتوقّعون غضبه، ويخافون عقابه[1] كما أنّ في الحذف توسيعًا للمعنى لعموم كل ما يشفق منه.

دلالة الجمع بين الخشية والإشفاق:

الإشفاق توكيدٌ للخشية مع نوع زيادة

لمّا ذكر أنّ من صفة الممدوحين أنّهم ﴿مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾، والخشية الخوف من الجليل لعظمته، زاد عليها صفة الإشفاق ﴿مُّشْفِقُونَ﴾ مع أنّ الإشفاق يتضمّن الخشية مع الرّقّة والضعف؛ فكان الجمع بين الخشية والإشفاق من باب التّأكيد[2].

دلالة العطف في ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾:

صفت القلوب فتلقّت أنوارَ المطلوب

عطف قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ على قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم﴾ من باب عطف الصّفة على الصّفة، ونتيجة لها؛ فإنّ الموصوفين في الأولى كان من نتيجة خشيتهم من ربّهم، ومحبّتهم له أن تصفو نفوسهم، وتزال الكُدْرَة عن أفهامهم، فإذا شاهدوا الآيات كان توجّههم إليها بقلب سليم صافٍ مشرق، فقذف به نور الإخلاص[3].

الغرض من التعبير بالاسم الموصول في ﴿وَٱلَّذِينَ هُم﴾:

في التعبير بالموصول إتاحة لذكر جملة الصلة التي تومئ إلى وجه بناء الخبر، كما أن التعبير بالموصول بسط في الذكر عناية به.

الغرض من تقديم الجارّ والمجرور ﴿بِـَٔايَـٰتِ﴾:

كأنّ إيمانهم محصور بآيات ربّهم

وقدّم الجارّ والمجرور ﴿بِـَٔايَـٰتِ﴾ على فعل الإيمان في قوله تعالى:

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 77.
(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 282.
(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5086.

﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾، للدّلالة على القَصْر، وهو قَصْرٌ للمبالغة، فكأنّ إيمانهم محصور بآيات ربّهم، والآيات تعمّ القرآن والعبر وغيرها ممّا فيه نظر واعتبار.

إيثار لفظ ﴿يُؤۡمِنُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

لا يزال إيمانهم بالآيات يتجدّد شكرًا لإحسانه إليهم

ذكر ثاني صفاتهم أنّهم ﴿بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾، والإيمان من أخصّ صفات المؤمن، ولا يكون إيمانًا حقًّا حتّى يكون متجدِّدًا شكرًا لله على أن أحسن إليهم[1]، وكان من صفاتهم أنّهم كلّما وقفوا على آية من آيات ربّهم آمنوا بها، وصدّقوا بمضمونها؛ فإيمانهم متجدّدٌ بتجدّد الآيات؛ فجاء باللفظ مضارعًا[2].

سرّ تَكْرار الاسم الموصول في الآيات:

الاهتمام بكلّ صلة من الخشية والإيمان بالآيات وعدم الإشراك

في تكرار الموصولات في الآيات الثّلاث، وما تلتها من آية رابعة؛ للإيذان بأنّ كلّ موصول مع صلته مستقلّ بنفسه غير تابع لما سبق، ونازلة منزلة استقلال الموصوف بها، ثمّ إنّ كلّ واحدة من تلك الصفات تتوفّر على فضيلة باهرة[3] من الخشية والإيمان وعدم الإشراك، والاهتمام بكلّ صِلَة من صِلاتها، فلا تُذكر تبعًا بالعطف، والمقصود الفريق الَّذين اتّصفوا بصلة من هذه الصّلات[4].

نكتة الجمع بين الإيمان بآيات الله وعدم الإشراك به:

الإيمان بآيات الله لا يقتضي عدم الإشراك به؛ فإنّ كفّار قريش يدّعون أنّهم يؤمنون بآيات ربّهم قصدًا إلى التّصديق بأنّه المخترع الخالق الرّازق، فزاد الحقّ سبحانه هنا نفيَ الإشراك؛ فإنّه لا حظّ لهم فيه بمدعاة عبادتهم الأصنام والأوثان[5].

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13/ 159.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 9/ 244، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5086.
(3) إسماعيل حقي، روح البيان: 6/ 91.
(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 77.
(5) ابن عطية، المحرر الوجيز: 4/ 147.

إيثار لفظ عدم الإشراك مادّةً وصيغةً:

تجديد نفي الشّرك الخفيّ وإخلاص العبادة لله

نفي الشّرك في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ لا يراد منه التّوحيد ونفي الشّريك للّه تعالى؛ لأنّه متضمَّن في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾، بل المراد منه نفي الشّرك الخفيّ كالرّياء ونحوه، وأنّ المرء يجب أن يكون مخلصًا في عبادته، طالبًا رضوانه، لا يقدّم على العبادة شيئًا[1]، وأن يكون إخلاصه، وعدم إشراكه مستمرًّا متجدّدًا؛ فإنّ طوارق الشّرك الخفيّ لا تنقضي.

فائدة تكرار لفظ الرّبوبيّة في الآيات الثّلاث:

عنوان الرّبوبيّة علّة للإشفاق والإيمان وعدم الإشراك

تعرّض النظم الكريم لعنوان الرّبوبيّة في كلّ آية من الآيات الثّلاث في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ﴾ وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ إشعارًا بِعِلِّيَّتِها في مواضع الشّفقة والإيمان بالآيات وعدم الإشراك[2].

نكتة تأخير آية عدم الإشراك على آية الإيمان بالله:

أخّر قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ﴾ على قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾، والقياس أن تتقدّم بأن يأتي بها أوّلًا؛ فالتّحذير من الشّرك يسبق الدّعوة إلى الإيمان، والجواب عن ذلك أنّ الحقّ ﷻ لا يتحدّث في هذه الآية عن الشّرك الجليّ والشّريك والنّدّ، إنّما يريد الشّرك الخفيّ، وهو الرّياء الذي لا يكاد ينجو منه مؤمن[3] آمن من ذي قبل بالواحد القهّار.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخشية خوف مع التّعظيم والإجلال والإشفاق عناية مختلطة بالخوف

الخشية والخوف والإشفاق:

آثر الحقّ ﷻ مفردة الخشية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 23/ 283.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 140، ومجمع البحوث، التفسير الوسيط: 6/ 1304.
(3) محمد الهلال، تفسير القرآن الثري: 18/ 59.

خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾، ولم يستعمل مفردة الخوف؛ لأنّ الخشية خوف يشوبه التّعظيم والإجلال[1]؛ فقد يكون الخوف من أمر لا على جهة التّعظيم، والآية واردة في سياق مدح هؤلاء، وأنّهم على حالة من انكسار القلب، مع دوام الوقوف بين يديه، أمّا الإشفاق فهو أرَقُّ من الخشية، فهي مرتبة تلي مرتبة الخشية[2]، وهو أي: الإشفاق عناية مشوبة بخوف، فالمشفِقُ يحبّ المشفَقَ عليه، ويخاف ما يلحقه[3]، وقد زاده الحقّ سبحانه وصفًا مدح به المذكورين في هذه الآية.

(1) الراغب، المفردات: (خشي).
(2) التستري، تفسير التستري، ص: 110.
(3) إسماعيل حقي، روح البيان: 6/ 90.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والثلاثون،
سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 35 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-77-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 35 : المجلد الخامس والثلاثون، سورة الحَجّ من الآية 51 إلى سورة المؤمنون الآية 63.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-77-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984898 بتاريخ 2024/11/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»